

الملف

رضوان عقيل

73 عاماً على الإستقلال، هل حافظ الأبناء عليه؟ سمير فرنجيه: إجماع على عدم العودة إلى الحرب

يقترّب موعد الذكرى 73 لاستقلال لبنان في 22 من هذا الشهر، في وقت يتصدع فيه هيكل الحكم والمؤسسات في البلد، وسط تحبّط لا يفارق اجندات القوى السياسية ويومياتها. وهي لم تعرف التوصل الى الخروج من الازمات. لم يكن ينقصه الا تصاعد موجات الحرب في اكثر من دولة في المنطقة وسط خشية من اقتراب حزام النار من ربوعنا



المفكر والنائب السابق سميّر فرنجيه.

تحياي اكثر شعوب العالم في الشرق والغرب ذكرى استقلال بلدانها وسط اجواء من الفرح واقامة النشاطات التي تخيم على طبقات المجتمع وفتاته التي تنتظر هذا اليوم. الا اننا لا نرى هذا المشهد في لبنان، ولا يعني هذا الحكم ان اهله لا يكرثون بالمناسبة التي تحتفل بها المدارس والجمعيات في بيروت والمناطق، وتوضع الاكاليل على ضرائح ابطال الاستقلال الذين عملوا وناضلوا للتخلص من نير الانتداب الفرنسي. نجحوا في تحقيقه ووضع بلدهم في مقدم الدول العربية التي نالت استقلالها حين انتفض اللبنانيون في تشرين الثاني 1943، ردا على سياسات الانتداب الفرنسي واعتقال سلطاته رئيس الجمهورية بشارة الخوري ورئيس الحكومة رياض الصلح ومجموعة من الوزراء والشخصيات، تم سوقهم مكبلين والاعتداء على عائلاتهم.

ماذا بقي من الاستقلال؟ هل ما صنعه الأبناء خربّه الأبناء أم ان جملة من الظروف والمتغيرات الداخلية والخارجية كانت اقوى من قدرات اللبنانيين على تماسكهم؟ اسئلة حملتها «الامن العام» الى المفكر والسياسي النائب السابق سميّر فرنجيه، نجل احد رجالات الاستقلال حميد فرنجيه.

لا يبدو «البيك الاحمر» خائفا على الاستقلال، رغم كل ملاحظاته على الطبقة السياسية من دون استثناء.

■ ماذا بقي من استقلال 1943 الى اليوم؟

□ اذا رجعنا الى اساس الاستقلال، فهو نتاج تفاهم اسلامي - مسيحي. عندما يضرّب هذا التفاهم سيصاب استقلال البلد حتما وبتبع عندها للخارج، والاخير متنوع ومتغير. عام 1943 وصلنا الى اقتناعات حقيقة وراسخة، هي ان من اللازم ان نعيش بعضنا مع بعض. تأسست هذه

■ ما هي الضربة الاولى التي تلقاها وواجهها استقلال لبنان؟
□ في تاريخنا كان الحدث الذي ضرب فعلا الاستقلال قيام دولة اسرائيل عام 1948 لانها بدلت كل المقاييس من ناحية الدول العربية التي اتجهت تدريجا نحو دول عسكرية وديكتاتورية. ادى قيام هذا الكيان الى تبديل الصورة المحيطة بلبنان من دول منفتحة ديمقراطية الى دول عسكرية توتاليتارية، اضافة الى تغذية نزعة الاقلوية. انعكست الازمة في لبنان تفجير حرب اهلية عام 1958. المؤسف في تاريخنا التجربة التي جاءت بعد هذا التاريخ.

■ لماذا كانت اول الامتدادات السلبية على لبنان عام 1958؟
□ اهم شيء هو الإبقاء على العلاقة في ما بيننا. آنذاك ذهب قسم منا الى «حلف بغداد» وآخر

الفكرة بين اللبنانيين قبل هذا التاريخ، لا بل في العشرينات واولائل الاربعينات من القرن الفائت حيث مارس اللبنانيون هذا العيش المشترك ووصلوا الى عام 1943 امام خيار من اثنين: انهاء العيش المشترك او الاستمرار فيه، فاخاروا الثاني. يسجل للمسيحيين والمسلمين هذا الامر. صدرت اعتراضات عند الفريقين. ثمّة من رفض من المسيحيين الاستقلال وطالب ببقاء الانتداب، ومن طالب عند المسلمين بالدعوة الى الوحدة مع سوريا. كان الرأي الغالب عند الجهتين السير في الاستقلال والعيش المشترك.

■ استقلال اللبنانيين كان مكلفا ام سهلا؟

□ المشروع الفرنسي في الجزائر كان يهدف الى فرنسة الاخيرة، بينما الانتداب عندنا لم يكن على هذا الشكل. نسبيا كان استقلالنا سهلا من دون عرق.

- لم يتركنا السوريون نستفيد من تحرير الجنوب، وبقي الحديث عن مزارع شعبا. عام 2000 لحظة مهمة، وفي تاريخ لبنان محطات مرتبطة بطوائف: في العشرينات موارنة، و عام 1943 موارنة وسنة، و عام 2000 شيعة. عام 2005 كانت المحطة ضائعة ولم تكن محصورة بطائفة وشكلت نوعا ما استقلالا ثانيا. من اولى مشكلاتنا وجود دولة على حدودنا الجنوبية، تعمل على تبرير نموذجها وترفض نموذج لبنان وتعتبره خطرا عليها، وتذهب في اتجاه حلف الاقليات. الجارة الثانية ترفض الغاء سايكس-بيكو وتريد سوريا الكبرى. عام 2005 تم وضع حد لمشروع سوريا في لبنان، وبهذا المعنى يمكن الحديث عن استقلال ثان. لم نحصل على علاقات دبلوماسية مع سوريا الا بصعوبة وشق النفس.

■ استقلال لبنان هل يواجه اليوم خطرا وتهديدا؟
□ الاستقلال كاستقلال ليس مهددا، ولا توجد دولة تقدر ان تطمح وتضع يدها على لبنان. المههدد هو الدولة والكيان عندنا بسبب تصرفاتنا الداخلية. في اختصار لا يوجد خطر على الاستقلال ولا على خريطة البلد. على الدولة ان تجسد هذا الاستقلال، وهذا له علاقة بوضعنا وبتطورات اكبر. هذا النوع من الدولة لا يرمز بشيء الى الشباب اللبناني من الافرقاء كافة. ليعلم الجميع اننا البلد الوحيد في العالم الذي نجد فيه المسؤولين عندنا غير قادرين على تأمين ايسر مقومات العيش من الكهرباء والاتصالات.

■ 73 عاما في عمر الاستقلال، هل تعلم اللبنانيون من كل هذه العقود؟
□ اول شيء تعلمناه هو عدم وجود اي رغبة عند اي جهة في حمل السلاح ضد الآخر. عام 1975 كانت توجد حماسة لحمل السلاح ضد الآخر. الآن لا، خصوصا في ظل ما نشهده في المنطقة فلا نسمع احدا يدعو الى السير في الحرب. لن تتكرر تلك الصورة، وهذا امر ايجابي بامتياز اذا قارنا بلدنا بسوريا والعراق واليمن وبلدان اخرى، وخريطة لبنان لن تتبدل. كل الطوائف استخلصت ان ضمان كل طائفة في الطائفة الاخرى. شيعة لبنان ضمانهم سنة لبنان. والعكس صحيح. المسيحيون ضمان للجتهتين، ويجب ان يعملوا على بند واحد هو منع اي خلاف بين السنة والشيعية في البلد. في استطاعتهم ممارسة هذا الدور.

والذي في الاستقلال، وكان صديقا للاتنين وعمل وتعاون معهما. لا شك في انه كان من مجموعة ابطال الاستقلال الذين ساهموا في صنعه.

■ الى من كان اقرب في سياساته؟
□ كان اقرب الى الرئيس رياض الصلح، بينما كانت علاقته مع الرئيس بشارة الخوري في تصاعد وهبوط.

■ ماذا اخبرك عن الاستقلال؟
□ عندما اصيب والدي بالمرض كنت صغيرا في الثانية عشرة. ترك السياسة فجأة وكان في عمر الشباب، وهو الذي فاوض على خروج الجيش الفرنسي من لبنان عام 1946 وانجز هذا الامر وساهم في الحل المالي مع فرنسا. كان دوره في الاساس الوقوف في وجه اي انعزال مسيحي. تمثلت معركته الفعلية ضد الرئيس كميل شمعون الذي كان يركز على المنطق المسيحي والاقلوي، بينما سار والدي في منطق مخالف. بذلك نقل الى مفهومه للاستقلال.

■ ما هي ابرز الدروس التي استخلصها اللبنانيون من الاستقلال؟
□ المؤسف اننا تأخرنا وذهبنا في اتجاه معاكس. بدلا من التوجه الى العيش المشترك ذهبنا الى المنطق الطائفي وهو يشبه نفسه عند كل الطوائف. الجميع يجدون تبريرات تاريخية لمواقفهم في الحاضر.

■ لماذا يشهد استقلالنا اليوم حالا من الاهتراء؟
الى ماذا يرجع السبب؟
□ الاهتراء في استقلالنا بدأ منذ «اتفاق القاهرة» وخسرنا فرصا عدة. لم نعرف تطبيق اتفاق الطائف على النحو المطلوب، ولم نستفد من تحرير الجنوب في ايار 2000 لطبي الصفحة، ولا من الخروج السوري عام 2005. صرنا نعيش وسط دولة تنهار ومن دون افق. في تقديري يجب عدم البقاء على هذه الحال، ونحتاج الى اطلاق خطوة نوعية، ومن الممكن العمل على مصالحة وطنية فاعلة اليوم.

■ ثمة من يقول ان ما حصل عندنا عام 2005 استقلال ثان؟

توجه الى العروبة ما ادى الى اصطدام الطرفين ووصل الصدام الى معارك عسكرية. جاء بعدها الرئيس فؤاد شهاب وعمل على بناء دولة تحمي العيش المشترك، وانشأ مؤسسات قائمة في ذاتها، فتراجعت هيمنة الاحزاب الطائفية على الدولة، وطور الادارات واشرك الاطراف وانفتح على الجميع. صحيح انه لم يستطع استكمال مشواره، لكنه وضع اسسا وقاعدة لبناء الدولة. لم يحقق كل ما كان يطمح اليه بسبب اللعبة الطائفية الى ان جاءت احداث حرب 1967 ودخلنا بعدها في «اتفاق القاهرة» الشهير، وهو في اختصار تخلي الدولة عن سيادتها. عام 1975 دخلنا في الحرب ولم نعرف الخروج منها بعد.

■ عندما نال اللبنانيون استقلالهم هل كانوا مؤهلين لنيل هذا الاستقلال؟ ام ثمة ضغوط دولية مورست على فرنسا آنذاك؟
□ لا شك في توقيت استقلالنا كنا نستحقه، لان لبنان قدم نموذجا فريدا من نوعه. وفي النتيجة لا يوجد بلد في العالم - وهو ما نكتشفه اليوم - المسلمون والمسيحيون شركاء في ادارة دولة واحدة. لا بلد في العالم الاسلامي يتشارك فيه الشيعة والسنة على غرار لبنان. هذا النموذج الاستثنائي، ويا للأسف، لم نكتشف اهميته الا في السنتين الاخيرتين لاسيما بعدما شاهدنا ما يحصل في المنطقة والعالم. في السابق كان يظن البعض ان العيش المشترك كذبة عندنا. اليوم بعد نتائج تنظيم «داعش» في اوربا واميركا اخذنا نحن والعرب والعالم نكتشف اهمية لبنان.

■ ما صنعه الآباء في الاستقلال هل خربه الابناء؟
□ ما اقول ان الابناء لم يعرفوا الحفاظ على هذا الاستقلال، ولا اريد ان اكون قاسيا على احد. جرت محاولات عدة للحفاظ على الاستقلال وفشلت. تحدثنا عن الفترة الشهابية الاصلاحية، ثم جاء المشروع الاصلاحى الذي قاده كمال جنبلاط واليسار في «الحركة الوطنية» كمشاهدة اصلاحية. المشكلة عندنا ان الكل في الخارج يدخل علينا ويتسلى بنا بسهولة.

■ والدك حميد فرنجه من رجالات الاستقلال؟
□ الشخصيتان الاساسيتان في الاستقلال هما الرئيسان بشارة الخوري ورياض الصلح. شارك